مدونة اسكندرية 415 العدد 1 – أيّار/حزيران 2011

مقدّس بوجوه كثيرة...

في هذا العدد:

كيف يمكن أن نرى المقدّس؟ - الأديان والروحانيات حول العالم - هل الأديان كلها واحد؟

اسكندرية 415

العدد الأوّل

أيّار/حزيران 2011

مقدّس بوجوه كثيرة...

بيروت 2011

"اسكندرية 415" هي مدوّنة ومجلة الكترونية شهرية تُعنى بالمسارات الروحية والديانات المُصنّفة عادة بالـ"بديلة" وخاصة الأديان الطبيعية ومدارس الحكمة القديمة.

يمكن زيارة موقعها الالكتروني على العنوان التالي:

alexandria415.wordpress.com

لتعليقاتكم ومساهماتكم في المدوّنة، يرجى مراسلة محرّر المدوّنة – طوني صغبيني (أدون)، على العنوان الالكتروني التالي

tsaghbiny [at] gmail [dot] com

جميع الحقوق محفوظة

لمدوّنة اسكندرية-415 ولمؤلفي المقالات المنشورة على صفحاتها.

فهرس العدد

- **مقدّمة العدد** 4
- **كيف يمكن أن نرى المقدّس**..... 5
- **الأديان والروحانيات حول العالم**..... 10
- **تديّن غير اعتيادي – طوني صغبيني** 16
- **معبر إلى الكون – هاني نعيم** 19
- **هل الأديان كلها "واحد"؟ - طوني صغبيني** 21

مقدّمة العدد

مقدّس بوجوه كثيرة...

أدون

حين بدأنا بالتفكير في مواضيع شهرية لمدوّنة اسكندرية 415 غلبتنا الحيرة حول ما يمكن أن نبدأ به هذه الرحلة الطويلة. وحيرتنا كانت ممزوجة بالشعور بجسامة المهمّة التي أوكلناها للمدوّنة، خاصة أنها الأولى من نوعها في العالم العربي ومن الأرجح أنها ستسير باستمرار في حقل من الألغام المتفجّرة.

واستمرّ ذلك حتى رسينا على عنوان "المقدّس بوجوه كثيرة" كموضوع للشهر الأول. وقد اخترنا هذا العنوان لأسباب عديدة، منها أن بحث أي موضوع روحي أو فلسفي أو ديني، يستوجب أولاً عرض الرؤى المختلفة للمقدّس والفلسفات المتعدّدة في هذا الشأن، مع ما يعنيه ذلك من تعريف مقتضب عن مختلف الأديان ومدارس الإيمان.

من ناحية ثانية، نأمل أن يساهم هذا الموضوع، ولو بتواضع، في سدّ النقص الشديد في التربية الدينية في العالم العربي. وحالة الأخيرة هي اليوم في أسوأ أحوالها، ففي معظم الدول العربية، الهدف من التربية الدينية ليس إكساب الطالب ثقافة موضوعيّة متسامحة تشمل مختلف الأديان حول العالم، بل تعني في أغلب الأحوال التلقين العقائدي الصارم للمدرسة الدينية التي ينتمي إليها الصرح التربوي. الضعف الأكاديمي والتربوي الشديد في مجال الأديان المقارنة سهّل نموّ الكثير من الأحكام المسبقة والتعصّب الديني في مجتمعنا، تعصّب قبض على سلوكنا اليومي وثقافتنا العامة على السواء. قد لا يكون غريباً القول أنه هنالك بعض الأوساط التي لا تعلم بتاتاً بوجود ديانات أخرى غير المسيحية والإسلام واليهودية، وفي أفضل الأحوال يمكن أن تكون سمعت عن هذه الأديان والمسارات "الغريبة" من المصادر الدينية نفسها التي تنتهج تربية الحقد والجهل.

"مقدّس بوجوه كثيرة" ليس كافياً طبعاً لسدّ هذه الثغرة الهائلة، لكنه خطوة صغيرة تقدّم صورة بانورامية للقارىء عن الخارطة الدينية والروحية للعالم.

في هذه السلسلة، سنتحدّث عن تصنيفات الأديان المختلفة وعدد أتباع كل منها والاختلافات الأساسية فيما بينها، سنتناول أيضاً الرؤى المختلفة للمقدّس بدءاً من التوحيد وصولاً لوحدة الوجود وتعدّد الآلهة، كما سنتحدّث عن التجارب الدينية-الروحية التي قد تبدو غريبة للوهلة الأولى، مثل مزج أكثر من دين في الوقت نفسه، واعتماد روحانية من دون الانتماء لدين معيّن، وبعض هذه المقالات تحكي تجارب شخصية حيّة. وإذا سمح لنا الوقت بذلك، سنختتم العدد بمحاولة الإجابة عن سؤال جوهري يتكرّر على مرّ العصور: هل الأديان كلها هي لجوهر واحد وتقود لنفس الغاية؟

كيف يمكن أن نرى المقدّس؟

منقول عن مدونة نينار – بتصرّف

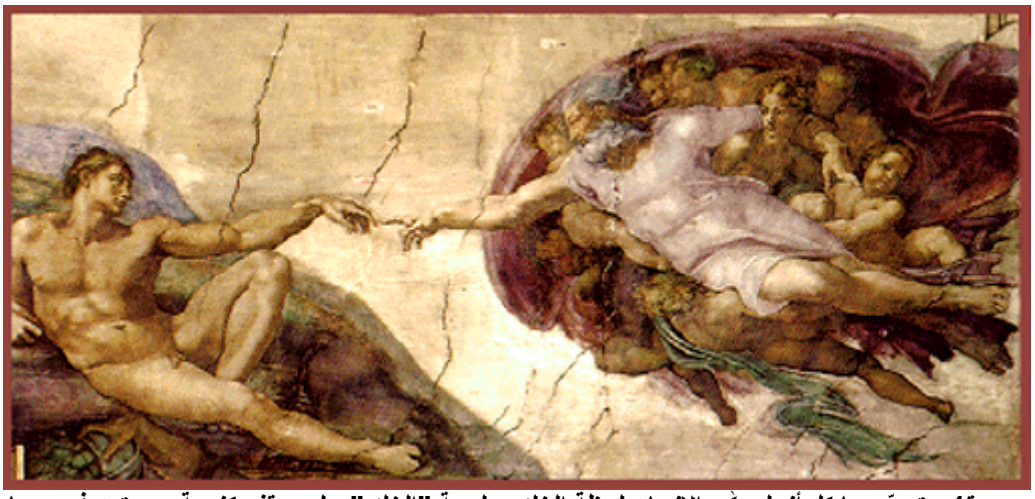

صورة1 : تصوّر مايكل أنجلو لله والإنسان لحظة الخلق - لوحة "الخلق" على سقف كنيسة سيستين في روما

يميل النقاش الفكري في العالمين العربي والغربي إلى أسر النقاش حول "المقدّس" بتعريف ضيّق له يتمحور حصراً حول الأيدولوجية التوحيدية. في هذه الحالة، لا تمتلك الناس عادة سوى خيارين لا ثالث لهما فيما يتعلّق بمسارهم الروحي؛ فإمّا التوحيد (الإيمان بوجود إله واحد كلي القدرة والمعرفة والعلم منفصل عن العالم المادي)، وإما الإلحاد (القول بعدم وجود أي مقدّس في الوجود بشكل عام والقول بعدم وجود أي نوع من آلهة او وعي أسمى أو روح).

لكن في الواقع، لا تنحصر الخيارات الروحية للإنسان بهذين الخيارين، هنالك الكثير من الخيارات لكن معظمنا لا يعرف عنها شيئاً لأسباب عديدة لا يمكن معالجتها هنا. ما يمكن قوله هو أن الثقافتان الظلامية والتنويرية في بلادنا كانتا أحاديتا الطابع، وهذه الاحادية أفضت إلى نتيجة واحدة فيما يتعلّق بالخيارات الروحية، وهي شطب كل ما هو خارج الرواية الرسمية للأديان الابراهيمية على أنه "شرك" (وفقاً للدينيين) أو "خرافة" وفقاً (لـ"التنويريين"). في الحالتان هنالك تسطيح وتجاوز مجحف بحق مدارس فلسفية وروحية وأخلاقية غنية ومتنوعة عرفها البشر منذ القدم حتى اليوم. في هذا الموضوع سنقوم بعرض التصنيفات المختلفة لـ"أنواع الإيمان"، على أمل أن يكون ذلك مساهمة صغيرة في سدّ النقص في هذا المجال باللغة العربية، مع العلم أن العرض هنا سيكون مقتضب وغير كافي بطبيعة الحال للإحاطة بهذا الموضوع الكبير.

قبل البدء لا بد من ملاحظة حول المفردات التي سيتم استعمالها في التعاريف. فيما يتعلّق بالمقدّس، نحن نفضّل استعمال كلمة Theos اليونانية والتي تعني "المقدّس" أيضاً، خاصة أنها أكثر حيادية وشمولية من كلمة "الله" (المثقلة بالمعاني التوحيدية). للأسف لم يكن هنالك مهرب من استعمال كلمة "الله" في العديد من المواقع، لكن نشير إلى أنها لا تشير في سياق هذا المقال إلى التعريف التوحيدي للكلمة.

وتنسحب كلمة Theos اليونانية على المفردات اللاتينية لتعريف مختلف أنواع الإيمان حيث باتت كلمة "**Theism**المقدّس و\أو الإله و\أو الآلهة."

وهكذا فإن كلمة **Mono-theism** تعني الإيمان بإله واحد، كما أن كلمة **A-theism** تعني عدم الإيمان بوجود آلهة أو إله على الإطلاق. كذلك يتم استعمال كلمة "ربّ **Deity** "للتمييز بين بعض أنواع الإيمان، وسنعرضها جميعاً في ما يلي. ومن المهم الإشارة قبل البدء إلى أنه، باستثناء التوحيد، الإلحاد واللاأدرية، هنالك العديد من المدارس الروحية التي ينطبق عليها أكثر من تعريف في الوقت نفسه.

صورة 2 : راهب بوذي يمارس التأمل في دير في ميانمار – بورما

بالإضافة إلى 1 (**التوحيدMonotheism** ، و2) و**الإلحادAtheism** ، هناك:

2) اللا-أدرية :Agnosticism اللا-أدرية)أو التشكيكيّة) هو موقف فكري يعتبر أن حقيقة المزاعم الروحية حول المقدّس لا يمكن تأكيدها ولا نفيها، أو أنه لا يمكن معرفتها على وجه الصحّة. وهي تختلف عن الإلحاد في أنها لا تنفي إمكانية وجود إله، لكنّها أيضاً لا تؤكّد ذلك، هي بكل بساطة تعني "لا أدري ولا أحد يدري أيضاً."

3) ثنائية الآلهة :Duo-theism وهو الإيمان بإله وإلهة (ذكر وأنثى) ذا قدرة متساوية، تشاركا خلق الكون ويتشاركان في التأثير عليه. وهي بذلك متعارضة مع الاديان الابراهيمية – السماوية التي تعتبر الله ذكراً. وتندرج بعض الطوائف الغنوصية القديمة ضمن هذا الإطار، بالإضافة إلى الدين الوثني الحديث المعروف بـ"ويكا."

4) تعدّد الآلهة Poly-theism: أي الإيمان بأكثر من إلهة أو إله. وفي الأديان التي تقوم على تعدّد الآلهة يكون هنالك مجمع Pantheon يضم جميع الآلهة الذكور والإناث. يعتبرون جميعاً مؤثرين بدرجات متفاوتة على الطبيعة والإنسان. وفي الماضي كانت كل الأديان في العالم أديان متعدّدة الآلهة. واليوم تشمل الأديان المتعددة الآلهة نحو نصف سكان الكوكب، ومنها الهندوسية، البوذية التبتية، الشنتو، الجانية، الأديان الأصلية للصين، استراليا، أفريقيا، أميركا الجنوبية والشمالية، الأديان الوثنية الحديثة مثل الهيثينية الشمالية (إحياء ديانة الكلت-الجرمان القديمة)، الدرويدية (ديانة الإنكليز القديمة)، الهيللنية)إحياء الديانة اليونانية القديمة)، الكيميتية (إحياء ديانة المصريين القديمة) ونَطيب قادِش (إحياء ديانة الكنعانيين القديمة).

5) وحدة الوجود Pan-theism: وتعني بالأصل اليوناني "الكلّ هو الله" (أو: "الله هو الكل")، وهي الإيمان بأن الكون والله متطابقان بالكامل، أي أن الله هو الكون والكون هو الله .لكن هذه الفلسفة لا تؤمن بأن الله – الكل هو إله شخصي له صفات إنسانية، ولا تؤمن أيضاً بوجود إله خالق. وهنالك العديد من الفلسفات المختلفة ضمن إطار وحدة الوجود لكنها جميعاً تعتبر أن الكون هو وحدة كاملة وأن الطبيعة مقدّسة. وتندرج معظم الاديان القديمة والأصلية ضمن هذا الإطار، بالإضافة إلى الطاوية، بعض الطوائف الهندوسية والبوذية، الصوفية والاديان الوثنية الحديثة.

صورة 3 : خلال احتفال أحد الاديان الوثنية الحديثة ببداية الصيف في روسيا

* * *

6) وحدة الكلّ في الإله :Panentheism وتعني بالأصل اليوناني "الكل في الله"، وهي مشابهة لفلسفة "وحدة الوجود "في أنها تعتبر أن الله موجود في كل ذرة في الطبيعة، لكنها تختلف عنها في أنها لا تعتبر أن الله والكون متطابقان تماماً بل ترى أن "الله" يتجاوز الكون من حيث الزمان والمكان. ولا تعتبر هذه الفلسفة بالضرورة أن الإله هو الخالق، بل تعتبره القوّة الخلّاقة الموجودة في كل شيء في الكون. وبعض فروع هذه الفلسفة تعتبر أن الكون هو التجلّي المادّي للمقدّس. وتندرج بعض المدارس الروحية القديمة ضمن هذه الفلسفة ومنها الهرمسية والنيو-أفلاطونية.

7) الإرواحية :Animism وتعني "وجود روح في كل شيء"، وهي فلسفة تعتبر أن الروح موجود في كل شيء على الإطلاق، البشر، الحيوانات، النبات، الصخور، الظواهر الطبيعية كالرعد، الأماكن الجغرافية كالجبال والأنهار... وبعض التقاليد الإرواحية تعتبر أنه هنالك روح أيضاً للأشكال التجريدية كالكلمات أو الأفكار. وقد بدأت كل الأديان في العالم بالشكل الإرواحي، وهي لا تزال اليوم منتشرة في الأديان الأفريقية التقليدية مثل اليوروبا، وتلك الحديثة الأفريقية – اللاتينية مثل كاندومبليه، سانتيريا، فودون، بالإضافة إلى الشنتو، بعض التقاليد الهندوسية، السيخية، وبعض الأديان الوثنية الحديثة.

8) الهينوثية :Heno-Theism وهو مصطلح وضعه العالم الألماني ماكس موللر ليشير إلى عبادة إله واحد لكن مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى. وهي بالتالي عكس التوحيد الذي يعني عبادة إله واحد من دون الاعترف بوجود آلهة أخرى غيره. والهينوثية كانت ممارسة شائعة جداً في الأديان الوثنية القديمة، وهي اليوم معروفة في الدين الهندوسي والأديان الوثنية الحديثة.

9) الكاثينوثية :Katheno-Theism وهو مصطلح من وضع ماكس موللر أيضاً يشير إلى عبادة إله واحد في وقت معيّن، وعبادة إله آخر في وقت آخر، وهذه ممارسة شائعة في بعض التقاليد الهندوسية التي تعطي الأفضلية في كل دورة دينية لإله محدّد مثل براهما، فيشنو وكالي.

10) و11) و12): الأومنيثية Omni-theism ، المونيّة Monism ، المونلاترية Monolatry ، :هي ثلاث فلسفات متشابهة ومترابطة؛ الأومنيثية هي الإيمان بجميع الأديان في وقت واحد، المونيّة هي فلسفة تعتبر أن المقدّس هو مادة جوهرية واحدة وأن كل التجليّات الدينية والإلهية هي مجرّد صور لهذه المادّة الجوهرية خلقها العقل البشري، والمونولاترية هي عبادة هذا الجوهر فقط دون أي إله آخر .وتعتبر المونولاترية بالتالي أن الآلهة المختلفة ليس في الواقع آلهة بل هي مجرّد أسماء بشرية لهذا الجوهر. ومن الأديان التي تعتنق هذه الفلسفات الديانة الكيمتية الأورثوذوكسية (وثنية حديثة ترتكز على تأويلها الخاص للدين المصري القديم).

13) الربوبية) :Deism عن الويكيبيديا العربية) الربوبية تؤمن بوجود خالق خلق الكون، وتعتبر أن هذه الحقيقة يمكن أن الوصول إليها باستخدام العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين. ويميل معظم الربوبيين إلى رفض فكرة التدخل الإلهي في الشؤون الإنسانية كالمعجزات والوحي وترفض بالتالي فكرة أن الإله كشف نفسه للإنسانية عن طريق كتب مقدّسة. وتختلف بذلك عن المسيحية واليهودية والإسلام التي تعتبر أن الله يتدخّل في حياة البشر وتختلف أيضاً عن الإلحاد.

14) تعدّد الأرباب :Poly-Deism – وهي تمزج بين فلسفتي "الربوبية" و"تعدّد الآلهة" في وقت واحد. وتعتبر أن خلق الكون كان نتيجة عملية خلق جماعية قام بها العديد من الآلهة – الأرباب حيث أن كل واحد منهم خلق جزء أو ناحية معيّنة من الكون. لكن "تعدّد الأرباب" يختلف عن "تعدّد الآلهة" في أنه يعتبر أن الآلهة-الأرباب توقّفوا عن التدخّل في الشؤون الكونية بعد خلق الكون.

15) ربوبيّة كلّية :Pan-Deism وهي تمزج بين فلسفتي "وحدة الوجود" و"الربوبية". وتعتبر أن الله الذي خلق الكون، بات هو الكون وقد توقّف بالتالي عن كونه إله منفصل عنه بعد الخلق .ولا يتدخل بالتالي في تسييره.

16) الكلّ في الربّ :Panen-Deism وهي تمزج بين فلسفتي "الربوبية" و"وحدة الكلّ في الإله". وبالتالي تعتبر أن الكون موجود في الله، لكن الأخير لا يتدخّل في تسيير الكون مثل المعجزات والوحي وما شابه، ويمكن معرفته فقط عن طريق العقل.

17) الكوزموثيّة :Cosmo-Theism وهي تشابه فلسفتي وحدة الوجود ووحدة الكلّ في الإله، وتعتبر أن "الله موجود في الكلّ والكلّ موجود في الله". وترى بالتالي أن الكون موجود في المقدّس، وأن الأخير ليس إله شخصي بل قوة روحية خلّاقة وجوهر محرّك موجود في كلّ ذرّة من الوجود. وتعتبر أن طبيعة الوجود هي في حالة تطوّرية دائمة نحو حالة الوعي الكوني الكامل، أو على الصعيد البشري نحو "التألّه". وتعتبر هذه الفلسفة أن الكون هو وجود منظّم ومتناغم وبالتالي فإن المقدّس والوعي الروحي والواقع المادّي لا ينفصلان بل الكل هو جزء من نظام كوني مقدّس ومنظّم بدقّة. وحملت الفلسفة الكوزموثية العديد من المدارسة الروحانية القديمة وخاصة الهرمسيّة، النيو-أفلاطونية والثيوصوفية.

الأديان والروحانيات حول العالم

هنالك مئات الأديان والروحانيات المختلفة حول العالم اليوم، منها ما تعود جذوره إلى عشرات آلاف السنين، ومنه ما تم إنشاؤه منذ بضعة أعوام فقط. وينتمي نحو 82 في المئة من سكّان العالم إلى روحانية أو دين محدّد، فيما 18 % تقريباً هم لادينيين، لاأدريين أو ملحدين.

الأديان الأشهر في العالم هي ما يُعرف في الدراسات الأكاديمية بـ"الخمسة الكبار" التي ينتمي إليها نحو 70 % من سكان الكوكب، وهي الديانات الهندوسية (1 مليار تابع)، المسيحية (2.1 مليار)، الإسلام (1.6 مليار)، اليهودية (14 مليون) والبوذية (376 مليون تابع).

تختلف التصنيفات المختلفة للأديان بحسب المقاربة التي يعتمدها الباحث؛ منهم من يوزّعها بحسب الجغرافيا ومنهم من يصنّفها وفقاً لثنائية التوحيدا\تعدّد الآلهة. في اسكندرية 415، اعتمدنا 12 تصنيف عام للأديان نعرضها في ما يلي:

1) **الأديان الإبراهيمية الثلاثة**: وهي بحسب تسلسلها الزمني: اليهودية، المسيحية والإسلام. تُسمّى في بعض الأحيان بـ"الأديان السماوية" فيما تُدعى أكاديمياً بـ"الإبراهيمية" نسبة للأب الروحي الذي تعتبر أنها تنحدر منه وهو إبراهيم الخليل، شخصية دينية توحيدية عاشت (وفقاً للتقاليد اليهودية) بين عامي 1800 و1600 قبل الميلاد. الأديان الإبراهيمية هي أديان توحيدية تؤمن بإله سرمدي واحد خالق للكون كلي القدرة والعلم. وتشترك مع بعضها البعض في إيمانها بأنبياء ورسل محدّدين، بامتلاك كل منها كتب مقدّسة تُعتبر بمثابة رسالة من الله أو كلامه المباشر، بعقيدة الثواب والعقاب، خلق الكون، يوم القيامة والجنّة والنار، وبمؤسسات دينية مركزية هرمية محصورة بالرجال.

2) **الأديان الدارمية**: الأديان الدارمية هي الأديان التي نشأت في شبه القارة الهندية وتشمل الهندوسية (مليار تابع)، البوذية، الجانيّة (4.2 مليون تابع)، السيخيّة (23 مليون) وعدد من الأديان الأخرى. وتُعرف الأديان بهذا الإسم وفقاً للأهمية التي يعطونها للدارما Dharma ، التي يختلف معناها بحسب دين وآخر لكنها تعني بشكل عام "الجوهر" (لدى الهندوسية الجوهر هو الواجب، لدى الجانيّة هو الحق، ولدى البوذية هي تعاليم مؤسسها). وتشترك هذه الأديان في عدد من الخصائص مثل إيمانها بالكارما (قانون السبب والنتيجة المعروف أيضاً بقانون العواقب)، التقمّص والانعتاق الروحي من الجسد كهدف للحياة البشرية، وحدة الوجود، كما تعطي أهمية كبيرة للممارسات الروحية الداخلية مثل التأمل واليوغا. فيما عدا ذلك، تختلف هذه الأديان عن بعضها البعض بشكل شاسع، ففي الهندوسية تحتل الآلهة أو الإله موقع مركزي كمحرّك للوجود فيما العكس في البوذية والجانية. وفيما لا تمتلك الهندوسية مثلاً مؤسساً واحداً وترتكز على العديد من الكتب المقدّسة التي تعتبرها وحياً مقدساً مثل الفيدا Vedas والأوبانيشاد Upanishads والبورانا Puranas ، لا تمتلك البوذية كتب مقدّسة لكنها تمتلك شخصية مركزية هي مؤسسها سيدارتا غوتاما بودا. أما الجانية فقد تم تأسيسها على يد 24 معلّم بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد. البوذية والجانية كانت لدرجة كبيرة ردّ على الجمود الديني للهندوسية الفيديّة (المرتكزة على الفيدا) وتشدّدان على أن معرفة الحقيقة الروحية يمكن أن يتم بطريقة تجريبية مباشرة من دون كتب مقدّسة أو مؤسسات وسيطة.

صورة 4سيدارتا غوتاما بودا، "المتنوّر"، مؤسس التعاليم البوذية (563-486 قبل الميلاد(

3) **<u>الأديان الشرق آسيوية</u>**: هي بشكل أساسي التاوية، الكونفوشيوسية والشنتو، بالإضافة إلى عدد من الأديان الأخرى التي لها جذور في آسيا الشرقية وخاصة الصين واليابان (مجموع الأتباع نحو 450 مليون). يشكّل مفهوم "التاو" أحد المحاور المركزية لهذه الأديان، والتاو يعني حرفياً "الطريقة" وهو من أصعب المفاهيم الفلسفية عند الشرح. المعاني الأقرب تعبيراً عنه هي: "حقيقة الوجود"، "الجوهر المتدفّق في قلب الكون"، "القوّة التي تخلق وتحرّك وتنظّم الكون". تركّز هذه الأديان على التناغم مع قوانين الطبيعة والوجود وخاصة مع الطاقة الخلّاقة المتدفّقة في الكون المعروفة بـ "كي" (باليابانية) أو "تشي" (بالصينية)، كما تشدّد على انتهاج سلوك أخلاقي نبيل وصارم أو ما يُعرف أحياناً بالـ دي De (الفضيلة) التي هي "التعبير الحيّ عن التاو". تندرج معتقدات الأديان الشرق آسيوية في المجال الواسع بين تعدّد الآلهة ووحدة الوجود مروراً باللاربوبية والإرواحية. على أرض الواقع، هنالك الكثير من التداخل بين التاوية، الكونفوشيوسية، الشنتو وبوذية الماهايانا خاصة انها متكاملة، متسامحة وغير متعارضة مع بعضها البعض؛ النسبة الأكبر من سكان آسيا الشرقية يعتنقون اكثر من دين من هذه الأديان في الوقت نفسه.

صورة 5 : خلال طقس فودون وهو من الأديان الأفريقية في المهجر

4) **الأديان الأصلية التقليدية**: يُطلق اسم الأديان الأصليّة التقليدية (Indigenous traditional religions) على أديان الشعوب الأصلية التي تم تناقلها شفهياً منذ ما قبل التاريخ والتي ما زالت تُمارس حتى اليوم في أفريقيا وأميركا اللاتينية وبعض مناطق آسيا وأستراليا. وتندرج معتقدات هذه الأديان ضمن إطار الإرواحية ووحدة الوجود وتعدّد الآلهة في الوقت نفسه. ولا تمتلك مؤسسات دينية رسمية أو أنبياء أو كتب مقدّسة. يترأس طقوسها في العادة "شامان" يتم تدريبه(ا) مدى الحياة لكي يضطلع بمسؤولياته الدينية في القبيلةالقرية. يشكّل الإيمان بالتواصل مع الأسلاف والأرواح بشكل عام، واعتماد أساليب الشفاء الروحي والسحر سمات مشتركة بين هذه الأديان. وهنالك اليوم نحو 300 مليون شخص حول العالم ينتمون للأديان الأصلية لشعوبهم.

5) **الأديان الأفريقية في الدياسبورا**: الأديان الأفريقية في المهجر هي الأديان المستمدّة من الأديان الأفريقية التقليدية التي تطوّرت في الأميركيتين في أوساط العبيد الذين تم استقدامهم من أفريقيا ويمارسها اليوم نحو 100 مليون شخص من مختلف أنحاء العالم. وتشمل هذه الأديان عدّة تقاليد مثل الفودون (الجزر الكاريبية) والسانتيريا (كوبا وجنوب الولايات المتحدة) وكاندومبليه (البرازيل). تشمل معتقداتهم عادة نوعاً من تبجيل الأسلاف والأرواح المقدّسة مثل اللوس في الفودون والأرويشا في السانتيريا. إحدى السمات المشتركة بين هذه الأديان هي في المزج الديني الذي تقوم به حيث يوجد في تقاليدها ممارسات كاثوليكية، أفريقية وإسلامية.

صورة 6 : أعطت الأديان الوثنية القديمة أهمية كبيرة للطبيعة والآلهات الإناث. في الصورة؛ الآلهات العربيات الثلاث مناة واللات والعزّى

6) **<u>الأديان الطبيعية القديمة (الوثنية)</u>**: كل الأديان القديمة كانت أديان وثنية لكننا نستعمل هذا التعبير هنا للدلالة على الأديان التي كانت سائدة تحديداً في المنطقة الممتدة من الهيمالايا في الشرق حتى أوروبا الشمالية والجزر البريطانية في الغرب مروراً بحوض المتوسط. وسادت هذه الأديان منذ ما قبل التاريخ حتى مجيء أديان "الكتاب" التي قضت عليها بالقوّة مثل اليهودية والمسيحية في شرق المتوسط، والإسلام في الجزيرة العربية. تندرج معتقدات الأديان الوثنية القديمة ضمن وحدة الوجود، الإحيائية وتعدّد الآلهة وترتبط بها معظم إنجازات العالم القديم الفلسفية والروحية والعلميّة والهندسية. وتُسمّى هذه الأديان في بعض الأوساط الأكاديمية بـ"الأديان الطبيعية" أو العضوية، كونها التطور الطبيعي للبحث الروحي للإنسان القديم ولأنها لم تمتلك كتباً مقدسة أو أنبياء أو مؤسسات مركزية موحّدة (باستثناء العهد الروماني). لا تشكّل المفاهيم الثنائية مثل الخير والشرّ والجنّة والنار والله والشيطان جزءاً من معتقدات هذه الأديان، وتعتمد على رؤية متعدّدة للمقدّس تختلف بحسب التقليد أو حتى الشخص. من الأمثلة على الأديان الطبيعية القديمة هو الدين البابلي القديم، الدين الكنعاني، المصري، اليوناني، الجرماني، العربي، الهيلليني وأخيراً الدين الروماني. هذه الأديان تم القضاء عليها في الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والخامس عشر ميلادي لكن هنالك اليوم محاولات عديدة في حوض المتوسط وأميركا الشمالية لإعادة إحيائها.

صورة 7 :تعطي الأديان الباطنية أهمية كبيرة للرموز السرية. في الصورة، الرحلة الخيميائية للعارف من العالم المنظور إلى العالم الباطني

7) **<u>الأديان الباطنية القديمة</u>**: الأديان الباطنية القديمة كانت تُعتبر بمثابة التعاليم الجوهرية والسرّية للأديان الوثنية القديمة؛ لا يدخلها إلا عدد محدود ومختار من الأشخاص، يتم بعد ذلك تدريبهم وتعليمهم أسرار الفلسفة الباطنية. تُعرف هذه الأديان أكاديمياً بـ Mystery Cults وكانت منتشرة في العالم القديم وبشكل خاص في العهد الهيلليني. المدارس الروحية-الفلسفية-العلمية القديمة تندرج أيضاً ضمن هذا الإطار وتُعتبر المدارس البيتاغورية، الهرمسيّة والنيو-أفلاطونية من أهم المدارس الباطنية في العالم القديم. العالمة والفيلسوفة هيباتيا الاسكندرانية التي اغتالتها الكنيسة عام 415 كانت آخر معلّمة لآخر مدرسة نيو-أفلاطونية في الشرق. تم إحياء الأديان الباطنية القديمة بأشكال أخرى ابتداءً من القرون الوسطى بعد العثور على كتابات لهرمس والفلاسفة النيو-أفلاطونيين. هنالك اليوم العديد من المدارس حول العالم التي تمتلك جذوراً في الفلسفة الباطنية ومنها الغنوصية في المسيحية، الصوفية في الإسلام، الكابالا في اليهودية، بالإضافة إلى الثيوصوفية والصليب الوردي والماسونية وغيرها.

صورة :8 خلال طقس وثني حديث في أوروبا الشرقية

8) **<u>الأديان الوثنية الحديثة</u>**: الأديان الوثنية الحديثة هي الأديان المستمدّة من الأديان الوثنية القديمة أو تلك التي تسعى لإعادة إحيائها، والتي بدأت بالظهور تدريجياً ابتداءً من القرن التاسع عشر. وهنالك أربع فئات رئيسية تندرج ضمن إطار الوثنية الحديثة وهي: **الويكا** (دين وثني تم إشهاره على يد جيرالد غاردنر في بريطانيا في خمسينات القرن الماضي)، **وحركات إعادة الإحياء** Reconstructionism التي تسعى لإعادة إحياء الأديان القديمة مثل الديانة الكيميتية (إعادة إحياء الدين المصري القديم)، الهيللنيسموس (إعادة إحياء الدين اليوناني)، ريليجيو رومانا (إعادة إحياء الدين الروماني)، الهيثينية (إعادة إحياء الأديان الجرمانية) ونطيب قادش (إعادة إحياء الدين الكنعاني). الفئة الثالثة هي الحركات الوثنية التي تستوحي من الأديان الوثنية القديمة لكنها تختلف عنها في بعض الأمور وتندرج الدرويدية ضمن هذا الإطار. أما الفئة الرابعة فهي تشمل العدد الأكبر من الوثنيين الحديثين وهي الفئة "الإنفرادية" التي تختار العناصر التي تريد اعتناقها وتمزج بين تقليد أو أكثر من الأديان الوثنية القديمة وبالتالي لا تنتمي إلى تقليد واحد محدد باستثناء الدين الوثني العام. ويُقدر عدد أتباع الوثنية الحديثة حول العالم بمليون وينتشرون بشكل خاص في الولايات المتحدة، شمال أوروبا وحوض المتوسط.

9) **<u>النيو آيج (العصر الجديد)</u>**: هي حركة روحانية غير منظمة بدأت بالظهور ابتداءً من ستينات القرن العشرين في الولايات المتحدة. وتجمع هذه الروحانية عناصر من مختلف الأديان وتستعير الكثير من المفاهيم من الأديان الشرقية مثل الهندوسية والبوذية، وكذلك من علم النفس، الطب البديل والباراسيكولوجيا. هنالك العديد من طروحات "العصر الجديد" التي تستوحي أيضاً من حركات إحياء المدارس الباطنية القديمة في القرن التاسع عشر، وخاصة الثيوصوفية، الأنتروبوصوفية ومدرسة جورج غوردجييف، بالإضافة إلى العديد من المعلّمين الهنود الذين زاروا الغرب خلال تلك الفترة. يتم توجيه العديد من الانتقادات لروحانية العصر الجديد كونها استعارت الكثير من الأديان والعلوم الأخرى ووضعتها في سياق خاص بها. وتعبير "العصر الجديد" يعني العصر النجمي القادم (الذي يبدأ بين عامي 2011 و2014) وهو عصر الدلو. تجمع هذه الروحانية اليوم نحو 5 ملايين شخص حول العالم.

10) **<u>الأديان التوحيدية الأخرى</u>**: هنالك عدد من الأديان التوحيدية الأخرى غير الأديان الإبراهيمية الثلاث، منها قديم مثل السامريين (طائفة منشقة عن اليهودية)، والصابئة اللذين كانوا منتشرين بشكل خاص في العراق، ومنها ما هو جديد مثل "التوحيدية العالمية" Unitarian Universalist(نحو 800 ألف مؤمن) والبهائية التي تم إنشاؤها في القرن التاسع عشر في إيران على يد الميرزا حسين علي نوري المعروف ببهاء الله والتي تجمع اليوم نحو 6 ملايين مؤمن في أنحاء العالم.

11) **<u>الأديان الثنائية</u>**: هنالك عدد من الأديان الثنائية التي تقوم على ثنائية الخير والشرّ والتي تقترب كثيراً من التوحيد وتُصنّف أحياناً على أنها توحيدية. من هذه الأديان ما هو اليوم لم يعد موجود اليوم مثل المانوية التي أسسها ماني في إيران في القرن الثالث ميلادي والتي تقوم على الصراع بين الظلمة (الشر والعالم المادي) والنور (الخير والعالم الروحي)، ومنها ما يستمرّ حتى اليوم مثل الزرادشتية التي أسسها زرادشت في إيران في القرن السادس قبل الميلاد والتي تنظر إلى العالم أيضاً على أنه صراع بين أهورا مازدا (الخالق وإله الخير) وأهريمان (الشرّ). هنالك اليوم نحو مليونين ونصف زرادشتي حول العالم تتحدر غالبيتهم الساحقة من أصول إيرانية.

صورة 9 : من البوسترات التسويقية للدين الرائيلي، تظهر مؤسسه جون كلود فوريون المعروف برائيل قرب مركبة فضائية

12) **<u>الحركات الدينية الجديدة</u>**: هي تلك التي نشأت ابتداءً من النصف الثاني من القرن الماضي وتضمّ أديان من أقصى الغرابة إلى أقصى العقلانية. للحركات الدينية الجديدة عادة سمعة سيئة خاصة أن بعض الأديان الجديدة كانت طوائف مغلقة قادت أتباعها إلى نهايات دراماتيكية (مثل الانتحار الجماعي لـ 900 شخص من أتباع "معبد الشعب" عام 1978)، وبعضها تجاري يمارس الابتزاز المالي والملاحقات القانونية بوجه خصومه (مثل "الساينتولوجي" التي تمتلك اليوم أملاك بمليارات الدولارات)، بعضها لديه طروحات غير اعتيادية (مثل الرائيليين الذين يعتبرون أنه تم خلقنا على يد مخلوقات فضائية اختارت شخص فرنسي عام 1975 ليكون رسولها للبشرية)، وبعضها منبثق من الأديان الأساسية الخمسة رغم إنكاره لذلك مثل حركتي "هاري كريشنا" و"التأمل التجاوزي" المنبثقتان من الهندوسية.

تديّن غير اعتيادي*

طوني صغبيني

الثقافة السائدة في البلدان العربيّة اليوم تقوم على نسخة واحدة من الروحانية، هي ما يمكن أن نسمّيه "التديّن الرسمي" التقليدي. وهذا النوع من التديّن له قواعد وأشكال معروفة، منها شكلية مثل إداء الفروض الدينية والصلوات والصوم وما إلى هنالك، ومنها إيمانيّة متعلّقة بالإيمان الكامل بأسس وتعاليم الدين الذي ينتمي إليه الشخص. لكن، في بلادنا أيضاً، كما حول العالم، هنالك أشكال أخرى من "التديّن" (أو بتعبير أدقّ "الروحانية") قد تبدو غريبة جداً للوهلة الأولى أو غير منطقية بالنسبة لمعظمنا، منها مثلاً اعتناق أكثر من دين في الوقت نفسه، ووجود تديّن روحي من دون الانتماء لأي دين.

معظم الشعوب القديمة لم تعرف حدود بين دين وآخر، حتى أنه في معظم اللغات القديمة لم يكن هنالك من كلمة مرادفة لكلمة "دين". الأديان اليونانية والفارسية والبابلية والسومرية والكنعانية والهندية والرومانية والجرمانية لا أسماء لها مثلاً في لغاتها الأصلية. ويعود هذا الغياب لسببين رئيسيين: السبب الأول هو أن الدين في الحياة القديمة لم يكن جزءً منفصلاً عن الحياة المدنية بل أحد مكوناتها الأساسية وبالتالي لم يكن هنالك من حاجة لإطلاق أي اسم عليه، والسبب الثاني هو أن القدماء لم يعتبروا أنهم ينتمون إلى أديان مختلفة.

النقطة الأخيرة تستحقّ التوسّع بها لأنها تختلف كثيراً عمّا نعرفه اليوم في الأديان الحديثة؛ القدماء اعتبروا أن الجميع يعرف المقدّس ويجلّه لكن تحت أسماء وأشكال مختلفة، لذلك أديانهم لم تعرف التركيز على صحّة العقيدة وعلى المرتكزات الأيدولوجية للإيمان لأنها بكل بساطة لم تكن أديان عقائدية-أيدولوجية بل أديان عضوية تطوّرت بشكل طبيعي منذ الأنفاس الأوّلى للإنسان الأوّل على هذه الأرض. كانت الناس بالتالي حرّة في اختيار آلهتها وعباداتها وتقديم تصوّرها الخاص للمقدّس؛ كان يمكن للمصري أن يعبد إلهة كنعانية ويعتنق التصوّر الكنعاني للحياة كما كان يمكن لليوناني ان يعبد آلهة مصرية ويعتنق التصوّر المصري للحياة، وكان يمكن لهؤلاء أن يعبدوا كل الآلهة وأن يعتنقوا كل التصورات في نفس الوقت إن رأوا أن ذلك يناسبهم، ولم يكن هنالك مؤسسة دينية تقوم على فكرة "محاسبتهم" أو "إعادتهم إلى الصراط المستقيم".

هذه الطريقة بالمزج الديني معروفة بالـ Syncretism ("التوفيقية" بالعربية لكن الترجمة غير دقيقة) في حال كانت النتيجة النهائية هي مزج العقائد والممارسات الدينية المختلفة في عقيدة\ممارسة واحدة، وهي معروفة بالـ Eclecticism (او "الانتقائية" بالعربية) في حال كان الشخص يقوم باختيار عدّة عناصر من أديان مختلفة من دون مزجها في عقيدة\ممارسة واحدة.

والأمرين كانا يتمّان بطريقة فردية كما كانا يحصلان أحياناً بطريقة رسمية كما في العهد الهيلليني حيث تم مزج الديانات اليونانية، الكنعانية، الفارسية، البابلية والمصرية في ممارسة هيللينية واحدة عبر المتوسّط.

المزج الديني لا يزال موجود بقوّة اليوم في العديد من التقاليد الدينية (حتى تلك المتعارضة مع بعضها) مثل التقاليد الأفريقية المهاجرة التي تقوم على المزج بين الكاثوليكية والأديان الأفريقية التقليدية، والأديان الوثنية الحديثة. إحدى أنجح الأمثلة على المزج الديني المسالم هي في الصين واليابان وآسيا الشرقية حيث تمتزج الأديان الكونفشيوسية، الطاوية، البوذية والشنتو بطريقة يصعب معها تمييزها من بعضها البعض. معظم الصينيين واليابانيين الذين يعتنقون ديناً ما، يعتنقون أكثر من دين في الوقت نفسه من دون أن يعتبروا أنهم يعتنقون دينين مختلفين. وهكذا يمكن أن نرى يابانية مثلاً تكرّم أسلافها في معبد للشنتو صباحاً فيما تحتفل بيوم الدارما البوذي في المساء، ويمكن أن نرى صينياً يقدّم العطايا للآلهة الطاوية في الربيع فيما يمارس التأمل وفقاً للطريقة البوذية في اليوم نفسه.

شكل آخر من الروحانية غير الاعتيادية هو التديّن الروحاني من دون الانتماء إلى أي دين. بحسب الإحصاءات حول العالم، إحدى أسرع التصنيفات الروحية نمواً هي للذين يصفون أنفسهم بأنهم لا ينتمون إلى ديانة محدّدة. جزء من هؤلاء هم روحانيون ومؤمنون ويقومون بممارسات روحية ما مثل الصلاة، اليوغا أو التأمّل، لكنهم لا يجدون أن التصنيف الديني التقليدي ينطبق عليهم. يصف أصحاب هذه الروحانية أنفسهم عادة بأنهم "روحانيون لكن لادينيون" Spiritual but not religious. يمتلكون غالباً تعريفاتهم الشخصيّة الخاصة لله والماوراء وقد يوافقون على بعض العقائد الدينية لكن ليس بشكل كامل. جزء كبير من معتنقي هذا النوع من الروحانية ينتمون بطريقة أو بأخرى إلى تيار "العصر الجديد"، الذي هو، للمفارقة، دين آخر. معظمهم أيضاً يندرجون ضمن أطار الرؤية التوحيدية للمقدّس ويشكلّ مفهوم "الله" جزءً أساسياً من معتقداتهم.

الفارق الأساسي بين الأديان المتسامحة تجاه المزج الديني وتلك التي تعتبره هرطقة، هو أن التجربة الشخصية المباشرة لها مكانة مهمّة في النوع الأول، مكانة تفوق أحياناً مكانة النصوص "المقدّسة" نفسها. كما أن هذه الأديان لا تمتلك أحياناً كتب مقدّسة أو أنبياء بالمعنى الإبراهيمي للكلمة، وبالتالي لا يوجد لديها قواعد "مُنزلة" للممارسة الروحية الصحيحة.

في جميع الأحوال، وجود أشكال من التديّن الروحي قد تُعتبر خارجة عن المألوف هي دليل قاطع على أنه من الصعب حصر المقدّس وعلاقة البشر معه في إطار مُنزل، جامد وأبدي، أو في صفحات معدودة من كتاب ما أو في أُطر ضيّقة للممارسات طقسيّة محدّدة، أو في جسم واحد محصور برجال دين رسميين. علاقة البشر بالمقدّس هي علاقة متحرّكة ومتطوّرة باستمرار، كلما تقدّمنا فيها سنكتشف أشكال جديدة وغير اعتيادية من التديّن والممارسات الروحية تتلائم مع اكتشافاتنا الجديدة في المقدّس...

---

* المقال المعنون برمز النجمة – * – هو مقال رأي لا يعبّر بالضرورة عن الرأي الرسمي لمدوّنة اسكندرية 415.

معبر إلى الكون*

هاني نعيم

صورة 10 : تأمل عند المغيب

الذات. هي المعبر إلى الكون. ذلك النداء الكونيّ الذي ينتاب أي كائن، لا يُمكن احتوائه. خوض التجربة الروحيّة، ذاتيّاً، هو تجريد العلاقة مع المقدّس من كل الأشكال الطقسيّة الجامدة، وإخراجها من النصوص، إلى فضاء التوحّد الكوني المقدّس.

***

الجانب الروحي موجود في كلّ كائن. وليس بالضرورة أن يكون عليه برهان علمي كي نُقرّ بوجوده، وليس بحاجة إلى "نص مقدّس" يؤكّد وجوده. هو ذلك الشعور العميق بأنّك جزء من منظومة مقدّسة، تتراقص على إيقاع التناغم الكوني.

***

التأمل هو أحد الدروب الروحيّة التي تساعد على خوض هذه التجربة. هي حالة انتقال من "النوم إلى الاستيقاظ". استيقاظ الحواس. الذهن. هو الحضور الكامل: بالذهن، الروح، والحواس.

التأمل يزيد من اتصال الإنسان بكل ما يجري حوله.

***

يحدث أن نندهش لوجود الشمس، وضوئها. مجرّد وجودها دهشة لا تحتمل. خوض التجربة الروحيّة يشد الإنتباه إلى وجود الشمس الرائع التي تمدّنا بالدفء، والضوء، والتوازن. وهذا ما يجعل الإنسان أكثر اقتراباً منها، وكأنّه أحد خيوطها.

***

التجربة الروحيّة تُعيد إلى الذات بعض من الدهشة التي تُفتقد في هذا الزمن الباهت. تُعيد بعض من الذات إلى الذات، حيث أنّ السرعة أصبحت من سمات كل شيء، وهذا ما شوّه حقيقتنا، وصرفنا عن أنفسنا، وأصبحنا مجرّد كائنات هشّة مسجونة داخل أيديولوجيّات وأطر حديديّة أبهرت وعينا، وأخضعته.

إنّ خوض التجربة الروحيّة بعيداً عن الأطر، يعني أن الخروج من السيستيم، على الأقل على الصعيد الروحي. هو المحافظة على الروح من التهشّم الذي لحق أو قد يلحق بها، وترميم ما أفسده السيستيم. والرحيل بعيداً، في رحلة اكتشاف أعماق الذات، لم يتم الوصول إليها من قبل. هي عودة إلى الذات.

التجربة الروحيّة هو أن اكتشاف لتلك الأعماق. هو الالتصاق أكثر بكل ما حولنا، من كائنات حيّة. الاقتراب أكثر من الضوء، الشمس، النجوم، البحر، الأشجار، وكل ما يحيط بنا.

خوض التجربة الروحيّة خارج الأديان ونصوصها، هو خروج عن السرب، والذهاب بعيداً في طريق مغرية، وجذّابة، لخوضها، بشغف الاكتشاف، والدهشة، والتوحّد.

***

تقود التجربة الروحيّة، إلى إعادة تموضع الذات من جديد في هذا الكون.

---

* المقال المعنون برمز النجمة – * – هو مقال رأي لا يعبّر بالضرورة عن الرأي الرسمي لمدوّنة اسكندرية 415.

هل الأديان كلها "واحد"؟*

طوني صغبيني

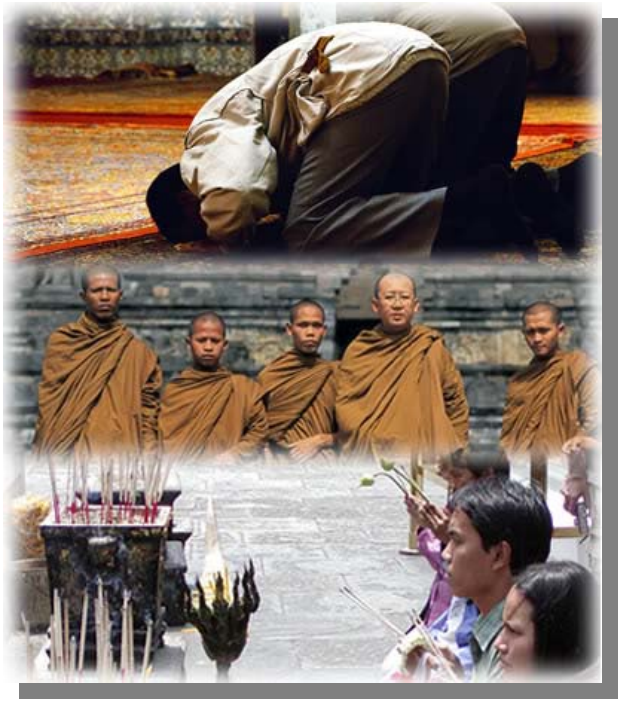

هنالك مقولة شهيرة حول الأديان نسمعها منذ الصِغَر وفي كلّ مكان؛ مقولة تجزم بأن الأديان كلها "واحد"، وأن جميعها تدعو إلى نفس الأمور الأخلاقية، تؤدي في نهاية المطاف إلى نفس النتيجة كما تحقّق نفس الغاية. المقولة هذه شعبية في أوساط الأديان السماوية التي تستعملها لتخفيف التوتّر والصراع التاريخي بين أتباعها، كما أنها المقولة المفضّلة للتيارات الفكرية المادّية والإلحادية التي ترى أن كلّ الأديان ليست سوى وسيلة للسيطرة على الشعوب وتخديرها. لكن هل جميع الأديان تقود فعلاً إلى نفس الغاية؟ فلنبحث قليلاً في هذا السؤال المحرّم.

حين ندرس الأديان لا يمكننا سوى أن نلاحظ أنه هنالك تشابه شكلي كبير بين معظم الأديان حول العالم، لكن هذا التشابه الشكلي، في رأينا المتواضع، لا يعكس تشابهاً في المضمون بل العكس.

معظم مدارس الحكمة القديمة تعتبر أنه في زمن الخطوات الأولى للجنس البشري على هذه الأرض، كان الإنسان يمتلك دين عالمي واحد ضاع مع الوقت في غياهب الصراعات والإنهيارات والفهم الخاطىء والتشتت الجغرافي للبشر في كافة أصقاع الأرض. تؤمن هذه النظرة بأن جميع الأديان الحالية تحمل بين طيّاتها القليل من حروف ذاك الدين المنسي، من دون أن تحمل أي منها حقيقته المطلقة. الفرضية القديمة هذه تعترف بالاختلاف الكبير بين الأديان لكنها ترى أنه يمكن تجاوز ذلك بإعادة إدراك الدين القديم الواحد.

بعيداً عن الفرضيات الباطنيّة القديمة، من الناحية الروحية، القول أن كلّ الأديان لها غاية واحدة أو أنها تعبد نفس الخالق هو اختزال لا يعبّر عن الواقع.

يقول الباحث في علم الأديان، ستيفن بروثيرو، مؤلف كتاب "الله ليس واحد"، أن الأديان تختلف لأن الأسئلة الأساسية التي طرحتها هي أسئلة مختلفة؛ فالمسيحية تساءلت عن كيفية تحقيق الخلاص من الخطيئة الأصليّة، والهندوسية تساءلت عن كيفية الانتهاء من دورة تناسخ الأرواح، والبوذية انطلقت من التساؤل حول كيفية التغلّب على المعاناة، وكل منها خرجت في نهاية المطاف بجواب مختلف، بممارسات مختلفة، وبوسيلة فكرية ودينية مختلفة.

الأديان الحيّة في العالم اليوم ليست واحد؛ لا في أسئلتها، لا في أجوبتها، لا في غايتها ولا في فلسفتها ولا في بنيتها العامة. وإن كان هنالك من تشابه، فالتشابه هو بين كل مجموعة من الأديان على حدة: هنالك تشابه كبير مثلاً بين الأديان التوحيدية الإبراهيمية، وهنالك تشابه بين الأديان الدارمية، لكن هنالك اختلاف شاسع بين عائلتي الأديان التوحيدية والأديان الدارمية.

الأديان الإبراهيمية يجمعها التوحيد – الإيمان بإله واحد له صفات معروفة، يجمعها وجود كتب مقدّسة تُعتبر أنها كلام الله أو وحي منه، ويجمعها فكرة وجود نبي-رسول واحد وأولياء صالحين غيره، كما تشترك في فلسفتها الثنائية القائمة على الثواب والعقاب، الجنّة والنار والخير والشر. بالإضافة إلى ذلك كله، تشترك هذه الأديان بوجود مؤسسة دينية مركزية تقتصر على الرجال. هذه الأمور كلها، التي تُعتبر أحياناً أنها مشتركة بين كل الأديان، هي في الواقع مشتركة فقط بين الأديان التوحيدية وبعض الأديان الدارمية كالهندوسية الفيدانتية (توحيديّة).

معظم الأديان الأخرى حول العالم لا تمتلك نصوص "منزلة" رغم أنها تعطي أهمية كبيرة لبعض النصوص المقدّسة، كما أنها لا تمتلك أنبياء (مثل الجانية التي أسسها 24 معلّم على التوالي لا شخص واحد، ومثل الوثنية المتوسّطية التي تمتلك مدارس فلسفية مختلفة لا أنبياء ورسل). بعض الأديان لا تؤمن مثلاً بنظرية خلق الكون من قبل إله بل تعتبر أن الكون انبثاق ذاتي ناتج عن جوهره نفسه (كما في الجانية، البوذية، بعض الفروع الهندوسية وبعض التيارات الوثنية المتوسّطية)، وبعض الأديان يمكن أن تندرج في إطار إلحادي إذ إنها لا تؤمن حتى بوجود إله أسمى مثل بعض الطوائف البوذية.

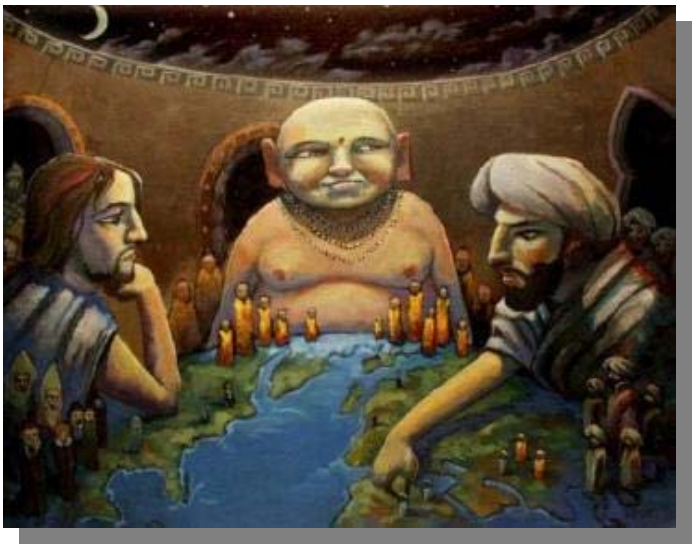

كرؤية فلسفية عمليّة، هنالك أديان تعتبر أن الحالة الطبيعية في العالم هي الصراع مع الظلام والشرّ مثل الزرادشتية فيما هنالك أديان لا تؤمن بوجود الشيطان وتعتبر أن الظلمة جزء أساسي من الحياة. الأديان الأخيرة تمتلك نظرة نسبية ومرنة تجاه مفهوم "الشرّ" بل إنها تقوم في بعض الأحيان على تكريم القوى "التدميريّة" بدل شجبها كمحاولة لفهم هذا الجزء الأساسي في الحياة.

من ناحية أسلوب الحياة، هنالك أديان تشدّد كثيراً على الزهد والتقشّف والابتعاد عن الملذات الدنيوية مثل البوذية والهندوسية فيما هنالك أديان تعتبر أن ممارسة الحياة الدنيوية إلى حدها الأقصى جسدياً هو المدخل للتنوّر الروحي كما لدى طوائف التانترا وبعض الأديان الأفريقية. هنالك أديان تمنع أتباعها من مخالطة أتباع الديانات الأخرى وتدعوهم إلى إخضاعهم أو إقناعهم بالدين، فيما هنالك أديان متسامحة لدرجة أنها تتيح لأتباعها اعتناق أكثر من دين في الوقت نفسه.

من الناحية الزجريّة، هنالك أديان تؤمن بأن الآلهة تعاقب البشر على أعمالها كما في الأديان الإبراهيمية، وفي المقابل هنالك أديان تعتبر أن قانون السبب والنتيجة هو قانون طبيعي منفصل عن أي إرادة إلهية (مثل مفهوم الكارما في الفلسفات الشرقية). وهنالك أديان تؤمن بالجنّة والنار كتلك الإبراهيمية وبعض الطوائف البوذية والهندوسية، فيما هنالك أديان تعتبر أن الجميع يذهب إلى المكان نفسه بعد الموت كالعالم السفلي لدى الأديان الوثنية. وهنالك أديان تعتبر أننا نعيش مرة واحدة على هذه الأرض فيما هنالك أديان تؤمن بأننا نتقمّص آلاف المرات في أجساد مختلفة لكي نتعلّم الدروس الروحية التي يجب أن نتعلّمها في حياتنا الأرضية. وهنالك أديان تعتبر أنها تمتلك رؤية دقيقة وواضحة عن ماهيّة المقدّس، وهنالك أديان تترك تعريف المقدّس واختباره لأتباعها الذين يمكن أن يروه واحداً، ثنائياً (ذكر وأنثى) أم متعدّداً.

الغاية من الحياة في بعض الأديان هي الوصول إلى الجنّة، في بعضها الآخر الغاية هي الارتقاء الروحي بين حياة وأخرى، وفي بعضها، مثل الوثنيّة القديمة، الغاية من الحياة هي الحياة نفسها.

هل أضحى واضحاً الآن أن الحديث عن وحدة الأديان فيه نوع من الاختزال بحقّ تنوّعها وتعدّديتها؟

قد يكون الاختزال الأكاديمي والشعبي للأديان على أنها "واحد" نابع من خطورة المقولة المعاكسة. الإضاءة على الاختلاف بين الأديان يمكن أن يؤجج التنافس والصراع بينها، لكن ذلك يمكنه أيضاً أن يحقّق العكس: الإضاءة على الاختلافات وفهمها تعمّق إدراكنا لبعضنا البعض وتفسح المجال للتغلّب على الصراعات الدينية عبر فهم أفضل للبنية الفكرية التي تقف ورائها. ليس ضرورياً أن تكون الأديان كلها "واحد" لكي نتعلّم احترامها والعيش معها. صحيح أن عملية فهم الاختلافات قد تؤدي أحياناً إلى زيادة الصراع الفكري بين المدارس الروحية المختلفة، لكن هذا الصراع صحّي وإيجابي وجزء لا يتجزأ من آلية نموّ وبقاء المجتمع البشري لأنه بكل بساطة يسمح بتنقية المؤسسات والعقائد والأديان مما قد يعلق فيها على مرّ السنوات من أفكار سلبيّة.

فهم الاختلاف بين الأديان يساعد أيضاً كل شخص على البحث عن مساره الروحي الخاص بشكل أفضل؛ ويتيح لنا رؤية الألوان الحقيقية لمجتمعنا البشري، وهي ألوان متعدّدة ومتنوّعة وجميلة جداً، وذلك يساعدنا أيضاً على فهم أنفسنا أكثر (ومنها مسارنا الروحي الخاص).

المجتمع البشري الناضج لا ينكر الاختلافات الروحية والدينية فيه خوفاً من التهام بعضه بعضاً؛ المجتمع الناضج هو ذلك الذي يستطيع تحقيق وحدة الحياة لأفراده عبر الاعتراف بخيارات ومعتقدات ومسارات كلّ واحد منهم... حتى ولو كانوا سبعة مليار كائن.

---

* المقال المعنون برمز النجمة – * – هو مقال رأي لا يعبّر بالضرورة عن الرأي الرسمي لمدوّنة اسكندرية 415.

---

*